الباب السابع

حقيقة الموقف من أعداء الأمة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث والعشرون

عداء وهمي لإسرائيل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث والعشرون

عــداء وهـمي لإســـرائيل

obeikandi.com

في بداية تسرب الأخبار عن علاقات عسكرية بين إيران وإسرائيل أصيب الكثيرون من العرب والمسلمين بالدهشة، واعتبروا ذلك من قبيل تشويه صورة إيران والثورة الإيرانية، وما ترفعه من شعارات إسلامية تتحدث عن مواجهة إيران لمشروعات الهيمنة الغربية على العرب والمسلمين، لكن مرور السنوات وتراكم المواقف الإيرانية أثبت الحقائق وأزال الغموض.

كانت البداية في قضية (إيران كونترا) أو (إيران جيت) التي عقدت بموجبها إدارة الرئيس الأمريكي ريجان اتفاقاً مع إيران لتزويدها بالأسلحة، بسبب حاجة إيران الماسة إلى أنواع متطورة منها في أثناء حربها مع العراق، مقابل إطلاق سراح بعض الأمريكان الذين كانوا محتجزين في لبنان، وكان الاتفاق يقضي ببيع إيران وعن طريق إسرائيل ما يقارب ثلاثة آلاف صاروخ (تاو) مضادة للدروع وصواريخ (هوك) أرض جو مضادة للطائرات.

وقد عقد جورج بوش الأب عندما كان نائباً للرئيس رونالد ريجان في ذلك الوقت، هذا الاتفاق عند اجتماعه برئيس الوزراء الإيراني أبو الحسن

بني صدر في باريس، اللقاء الذي حضره أيضاً المندوب عن المخابرات الإسرائيلية الخارجية (الموساد) (آري بن ميناشيا)، الذي كان له دور رئيس في نقل تلك الأسلحة من إسرائيل إلى إيران. وفي آب/ أغسطس من عام ١٩٨٥م، تم إرسال ٩٦ صاروخاً من نوع (تاو) من إسرائيل إلى إيران على متن طائرة DC-٨ انطلقت من إسرائيل، إضافة إلى دفع مبلغ مقداره مليار ومئتا دولار أمريكي إلى الإيرانيين لحساب في مصرف سويسرا يعود إلى تاجر سلاح إيراني يدعى (جوربانيفار). وفي تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٨٥م، تم إرسال ١٨ صاروخاً تم شحنها من البرتغال وإسرائيل، تبعها ٦٢ صاروخاً آخر أرسلت من إسرائيل.

(إيران كونترا) كانت عبارة عن مخطط سري تعتزم إدارة ريجان بمقتضاه بيع أسلحة لدولة عدوة هي إيران، واستعمال أموال الصفقة لتمويل حركات (الكونترا) المناوئة للنظام الشيوعي في نيكاراجوا[١].

كانت إجراءات صفقة بيع الأسلحة قد سارت ضد قوانين الكونجرس الذي يحرم تمويل الحركة المضادة لثوار نيكاراجوا وبيع الأسلحة لإيران. وإضافة ذلك، فإن جميع تلك الأنشطة كانت تشكل تعدياً على عقوبات الأمم المتحدة وقتها.

إدارة ريجان تحايلت على قوانين الكونجرس ومررت التمويل والأسلحة ضد ثوار نيكاراجوا (الكونترا) التي هي اللفظ الإسباني لمصطلح حركة معارضة الثورة. الحركة المعارضة لثوار نيكاراجوا حصلت على الأسلحة والتدريب من الولايات المتحدة ووكالة الاستخبارات المركزية، وخاصة فيما يخص تكنيك حرب العصابات، مثل تدمير عناصر البنية التحتية وعمليات الاغتيال.

obeikandl.com

بعد أن تمت مواجهة الرئيس الأمريكي بقدر كبير من الضغط أعلن عن تشكيل لجنة مراجعة خاصة تبحث في الفضيحة في إطار لجنة رئاسية عرفت فيما بعد باسم لجنة تاور، وادعي ريجان أنه لم يكن على علم بالعملية. ولكن في ١٨ نوفمبر ١٩٨٧م أعلن الكونجرس الأمريكي تقريره النهائي حول القضية، وجاء فيه أن ريجان مسؤول مسؤولية تامة عن الفعل الآثم الذي قام به معاونوه وأن إدارته مارست التكتم والخداع، وازدرت القانون، وتضمن التقرير تهماً متعددة[٢].

في ١٨ يوليو/ تموز عام ١٩٨١م انكشف التصدير الإسرائيلي إلى إيران عندما أسقطت وسائل الدفاع السوفيتية طائرة أرجنتينية تابعة لشركة (أروريو بلنتس) وهي واحدة من سلسلة طائرات كانت تنتقل بين إيران وإسرائيل محملة بأنواع السلاح وقطع الغيار، وكانت الطائرة قد ضلت طريقها، ودخلت الأجواء السوفيتية على أن صحيفة التايمز اللندنية نشرت تفاصيل دقيقة عن هذا الجسر الجوي المتكتم عليه.

وفي مقابلة مع جريدة (الهيرلد تريديون) الأمريكية في ٢٤-٨-١٩٨١م اعترف الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر أنه أحيط علماً بوجود هذه العلاقة بين إيران وإسرائيل، وأنه لم يكن يستطيع أن يواجه التيار الديني هناك الذي كان متورطاً في التنسيق والتعاون الإيراني الإسرائيلي.

وفي ٣ حزيران ١٩٨٢م اعترف مناحم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلي بأن إسرائيل كانت تمد إيران بالسلاح، وعلل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي أسباب ذلك المد العسكري الإسرائيلي إلى إيران بأن من شأن ذلك إضعاف العراق[٣].

obeikandi.com

ونشرت صحيفة (هيرالد تريبيون) لباحث إستراتيجي أمريكي من أصل يهودي مقالة بعنوان: (إيران وإسرائيل والرابط التاريخي) لستانلي فايس الذي كان له دور في السنة الأولى من ولاية الرئيس الإيراني محمد خاتمي، حينما كان المسؤولون الإسرائيليون يستطلعون الآفاق بحثاً عن وسيلة تمكنهم من تسديد الديون التي يدينون بها لإيران عن كميات النفط التي تسلموها في زمن الشاه. وقيل في حينه: إن صادرات إسرائيل إلى إيران عبر دول أوروبية تدخل طرفاً ثالثاً في العملية قد تجاوزت ٣٠٠ مليون دولار، وشكلت المعدات الزراعية الجزء الأكبر من تلك الصادرات.

يقول ستانلي: (العداوة بين إيران وإسرائيل ليست سوى شذوذ عن مسيرة العلاقات التاريخية بين الشعبين، فقد عملت الروابط الثقافية والمصالح الإستراتيجية بين الفرس واليهود على جعل إيران وإسرائيل حليفتين متضامنتين لحين قيام الثورة الإسلامية في إيران. وعلى الرغم من الصورة القاتمة لما آلت إليه العلاقة بين البلدين في الوقت الحاضر، فإن المصالح الإستراتيجية الثابتة تشير إلى أن إعادة إحياء الشراكة الفارسية – اليهودية أمر محتوم، وإن لم يكن متوقعاً على المدى القريب)[٤].

وتحدَّث (الدكتور سيامك) رئيس جمعية يهود طهران لوكالة أنباء (قدسنا) من ناحيته عن وفاء اليهود الإيرانيين الذين هاجروا إلى الكيان الصهيوني لإيران، وضرب أمثلة على دورهم في التعاون مع جهاز الأمن (السافاك) في عهد الشاه ومشاركتهم في الحرب الإيرانية ضد العراق معتبرًا ذلك أفضل وأروع دليل على وفاء اليهود الإيرانيين أينما كانوا للدفاع عن إيران. وأضاف قائلاً: (إن اليهود الإيرانيين كانوا دوماً مساندين لسيادة

obeikandi.com

إيـران والمصالح الوطنية الإيرانيـة). مضيفاً: (إن اليهود خلال وجودهم فى إيـران - الذي استمَـرَّ أكثر من ثلاثين قرناً - لم يواجهوا أي حركات عدوانية مضـادة. وهذا يُعدّ من مفاخر الثقافـة الإيرانية، وأن (الإمام الخميني) أكد مبدأ رعاية كامل حقوق الطائفة اليهودية فى إيران).

وأضـاف الدكتور سيامـك قائلاً: (نظراً لتاريخ اليهـود العريق فى إيران؛ فـإن ثقافتهم فـى الحقيقة ثقافة إيرانيـة، ونحن نكتب ونتكلـم ونفكر باللغة الفارسيـة، والفارق الوحيد بيننا هو ديننا). وعلى الرغم من التبني والرعاية الغربيـة الكاملـة للكيان الصهيـوني إلا أن ذلك لم يُسقِـط دور إيران وأهمية التعـاون معها، وإن ذلـك لم يُلْغِ المسعى الإيراني لتحقيق حلـم إعادة الهيمنة الفارسيـة على المنطقـة؛ حيث لم تجد إيران في وجود هـذا الكيان (اللقيط) عائقـاً لتحقيق مخططها بقدر ما هو مساعـد لها على تحقيق ذلك؛ فالنظرة الإيرانيـة لليهـود تقوم على الأسـاس نفسه الذي وضعـه الإمبراطور (قورش الإخمينـي) عند تحريـره اليهود مـن السَّبْيِ البابلـي؛ وهـو أن اليهود جنس لـه شبه كبير بالجنس الآري (الفارسـي) ويمكن الاستفـادة منه من خلال إغرائه بالمال.

وهذا ما يفسر سبب عدم ظهور حركة احتجاج واحدة من قِبَل أي جماعة دينية أو سياسية في إيران عند إعلان قيام الكيان الصهيوني (١٩٤٨م) على أرض فلسطين؛ فقد التزمت وقتها (حوزة قم الدينية) السكوت ولم تدعُ إلى أي مظهر من مظاهر الاحتجاج، وهكذا الأمر بالنسبة إلى الحركات السياسية؛ فقد جاء موقفها مطابقاً لموقف الشاه غير أن الموقف الاحتجاجي الوحيد الذي ظهر آنذاك تَمثَّل في موقف الشيخ نواب الصفوي - أُعدم ١٩٥٦م - زعيم

obeikandi.com

حركة (فدائيان الإسلام) فهو عالم الدين الإيراني الوحيد الذي حضر مؤتمر القدس في مدينة القدس سنة ١٩٥٣م وقد لقي حضوره في المؤتمر اعتراضاً شديداً من قِبَل المرجعيات الشيعية في قُم[٥].

وقد كشف الصحافي الإيراني نادر كريمي، المعتقل في أحد السجون الإيرانية، أن طهران ترتبط بعلاقة سرية حميمة مع إسرائيل، وذلك من واقع مقابلات يقول: إنه تمكن من إجرائها مع عناصر من الموساد استمرت ٢٠ ساعة، ومع المخابرات الإيرانية (الاطلاعات) تخللتها استجوابات وصلت مدتها إلى ٢٠٠ ساعة ترافق بعضها مع تعرضه لتعذيب جسدي.

وزود نادر كريمي نزيل سجن إيفين في طهران، (العربية. نت) بمعلومات حول ذلك، واعداً بنشر كتاب عنها بعد خروجه من السجن.

ويعد نادر كريمي من الصحفيين المنتقدين لحكومة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، وهو من جرحى الحرب العراقية الإيرانية، حيث كان عضواً في قوات الحرس الثوري الإيراني، وترأس مدة تحرير صحف منها (سياست روز) و(جهان صنعت) ومجلة (كزارش).

قال كريمي: إنه التقى عدداً من عملاء (الموساد) بهدف إجراء مقابلات معهم لمصلحة الكتاب الذي ينوي نشره بخصوص العلاقات الإيرانية الإسرائيلية.

ويؤكد كريمي أن الحرب بين طهران وتل أبيب لا تتجاوز الحرب الكلامية، قائلاً: (إن الحرب الكلامية والعنتريات التي تخوضها طهران ضد تل أبيب أوهمت المسلمين أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية ألد أو على أقل تقدير

obeikandi.com

أحد ألد أعداء إسرائيل وأهم حماة الفلسطينيين أو أحد أهم حماتهم في العالم).

وأضاف: لم تتوافر الظروف لوضع إيران على المحك، ولم يتمكن المحللون والمراقبون والصحفيون من الاتصال بصنّاع القرار على هذا الصعيد، ولا سيما عناصر الاستخبارات في البلدين، وذلك أغرق المراقبين في متاهة الحرب الكلامية، وذلك نتيجة لعدم اطلاعهم على واقع العلاقات بين طهران وتل أبيب.

ويضيف: إيران وإسرائيل حولتا الصحفيين إلى أداة للنفخ في بالون العداء بين البلدين، وإلى أدوات مثيرة في مسرحية التخاصم بينهما، إلا أن ثمة واقعاً آخر خلف ستار هذه التمثيلية التي كتبت فصولها في فئة الإثارة[٦].

ويقول كريمي، الخبير في الشؤون الإيرانية الإسرائيلية: إن السنوات التي أمضاها في الحديث مع الدبلوماسيين الإيرانيين ودراسة خريطة العداء بين طهران وتل أبيب زادت لديه الغموض الذي يكتنف جوهر هذا العداء، وهو يعتقد أنه في واقع الأمر هناك تمثيل عدائي يستثمره الطرفان لمصالحهما السياسية، مؤكداً: (مما لا شك فيه لا تخفي كل من إيران وإسرائيل العداء اللفظي بينهما، إلا أن الهدف من وراء هذا العداء وخلافًا للحرب الإعلامية يتبلور في استثماره بصورة نفعية).

وأشار نادر كريمي إلى أنه التقى عملاء الموساد في تركيا، وكتب بهذا الخصوص: (بوصفي صحفيًّا ملتزماً بعقائده وبالرأي العام، رأيت أن الخوض في هذا المجال -العلاقات الإيرانية الإسرائيلية- دون مقابلة العناصر الاستخباراتية للبلدين سيكون عملاً ناقصاً، ولكن الأسئلة الملحة التي طرحت

obeikandi.com

نفسها كانت كيف وأين أتمكن أن ألتقي عملاء جهازي الاستخبارات للبلدين لسماع الحقيقة نسبيًّا منهم).

وأضاف: (أنا أعترف أن التقاء مسؤولي شعبة إيران في الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) كان أسهل وأكثر أمناً وأقل كلفة بكثير من التقاء مسؤولي شعبة إسرائيل في الاستخبارات الإيرانية (اطلاعات) حيث كان يكفي أن أمثل على العملاء الإسرائيليين اليهود من أصول إيرانية في تركيا، دور الصحفي المعارض للحكومة الإيرانية والداعي إلى الإطاحة بها حتى أحصل على ثقتهم).

وحول حصوله على المعلومات من الجانب الإيراني كتب يقول: (أما تمهيداً لأرضية اللقاء بعناصر الاستخبارات الإيرانية الذين يحظون بتعاون الاستخبارات التركية لمراقبة القنصلية الإسرائيلية في إسطنبول فقد مثلت دور متهم أحمق نادم لأخطائه السابقة، فحاولت تفريغ المعلومات والتحليلات الاستخباراتية الإيرانية بخصوص إسرائيل).

ويكشف نادر كريمي أنه أجرى ٢٠ ساعة من المقابلات على مدى شهرين مع عملاء الموساد، وتحمل نحو ٢٠٠ ساعة من الاستجواب الذي رافقه التعذيب الجسدي في بعض الأحيان على يد عناصر الاستخبارات الإيرانية في وزارة الأمن والاستخبارات، حيث أرغموه على كتابة اعترافات قسرية، إلا أنه يؤكد أن الحصول على المعلومات من عملاء الاستخبارات الإيرانية خلال الاستجواب أسهل بكثير من حصول مثل هذه المعلومات من العملاء الإسرائيليين.

وينتقل نادر كريمي بالحديث عن شراء إيران بضائع إسرائيلية مشيراً إلى أنه: (في الوقت الذي تستخدم إيران لغة غاضبة ضد إسرائيل ولمصلحة

الشعب الفلسطيني المظلوم، ويبذل المسؤولون الإيرانيون في الداخل والخارج جهوداً مضنية لتأليب الرأي العام، إلا أنهم يقدمون في بعض الأحيان على شراء البضائع الاستهلاكية الإسرائيلية كالفواكه على سبيل المثال، أو يختارون في تعاملاتهم شركات من أصول إسرائيلية، وبهذا يرفدون اقتصاد البلد الذي ينعتونه بالعدو).

ويواصل قائلاً: (إن إيران لم تنظم أي قائمة للبضائع أو الشركات الإسرائيلية المحظورة من قبلها، ولا تنوي القيام بذلك).

وأشار نادر كريمي إلى ما اعدّه صفقات بين تل أبيب وطهران: (منذ الحرب العراقية الإيرانية وإلى الآن يقوم وسطاء إيرانيون مليئة جيوبهم بالأموال بشراء أسلحة وأجهزة غربية غالية الثمن بمساعدة وسطاء إسرائيليين جشعين، حيث يدفع الزبون الإيراني الفائض الكرم أضعاف الأسعار الحقيقية للأسلحة المتطورة الغربية).

وحول هذه الصفقات ينوه كريمي إلى: (أن الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية، في أثناء الحرب العراقية الإيرانية إلى أدوات الحرب الإلكترونية والرادارات الحساسة للغاية وأجهزة اللاسلكي المشفرة، تشكل كلها غيضاً من فيض على صعيد الصفقات المبرمة في الظلام والصمت بين إيران والوسطاء الإسرائيليين).

ويشير كريمي إلى دخول عملاء إسرائيل وخروجهم بحرية وبجوازات غير إسرائيلية إلى إيران، ويلتقون أصدقاءهم تحت مرأى وزارة الأمن والاستخبارات الإيرانية بحسب قوله.

obeikandi.com

ويقول الصحفي السجين من خلال المعلومات التي قدمها لـ(العربية. نت): (إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تستغل بعض الطلاب الفلسطينيين الموجودين على الأراضي الإيرانية، فالكثير من الفلسطينيين الذين حصلوا على منح دراسية من قبل ممثليات الجمهورية الإسلامية الإيرانية السياسية والثقافية في الخارج، وانتقلوا للدراسة في الحوزة الدينية والجامعات الإيرانية تعرضوا للضغط بغية إرغامهم على التجسس على المجموعات الفلسطينية والسفارات العربية في طهران).

وذكر نادر كريمي بالاسم طالباً فلسطينيًّا تحول إلى المذهب الشيعي، وكان يحضر رسالة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بجامعة إعداد المدرسين بطهران، كلفته وزارة الأمن والاستخبارات الإيرانية بمهمة التجسس على سفارتي الأردن والسودان في طهران إلا أنه طرد في النهاية من إيران بعد أن سجن فيها مدة ١٥ شهراً.

وينقل عن خبراء وزارة الأمن والاستخبارات الإيرانية قولهم: (من الضروري وجود كيان إسرائيلي يطلق بين الحين والآخر حرباً كلامية، ويغامر بتصرفاته في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وذلك من شأنه أن يمهد الأرضية للجمهورية الإسلامية الإيرانية لتستعرض عضلاتها، وتطبق سياساتها في المنطقة، وتمارس الضغط على الحكومات العربية عبر تحريض الرأي العام العربي في البلدان العربية).

ويستطرد نادر كريمي: (إن الشعارات الإيرانية ضد إسرائيل ومغامرات النظام الإيراني تمنح إسرائيل أفضل الأوراق لتمثل دور الضحية المظلوم أمام الرأي العام العالمي، وتمارس الضغوط على الفلسطينيين، وتتملص بذلك

openikandi.com

من التزاماتها ومسؤولياتها الإقليمية والدولية، وتجلب في المقابل المزيد من المساعدات الأوروبية والأمريكية)[٧].

في ٢٠ يوليو/ تموز ٢٠٠٨م، نقلت صحيفة (اعتماد) ووكالة أنباء (فارس) الإيرانيتين عن نائب الرئيس الإيراني (إسفنديار رحيم مشائي) إعلانه الصريح والواضح بأن: (إيران اليوم هي صديقة الشعب الأمريكي والشعب الإسرائيلي، ما من أمة في العالم هي عدوتنا، وهذا فخر لنا).

هذا الكلام قاله نائب (نجاد) و(صهره) في آن - ابنة الأول متزوجة من ابن الرئيس - في الوقت الذي ما انفكت فيه طهران، تصعد من حربها الكلامية والهوليودية مع الإسرائيليين والأمريكيين، بل إن نجاد ذاته هدد بـ(مسح إسرائيل من على الخريطة)!

في ٢٤ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٨م، فجر أحمدي نجاد - بنفسه - مفاجأة مدوية، لصحيفة (نيوريوك ديلي نيوز) الأمريكية، حين أكد لها، استعداد بلاده للاعتراف بإسرائيل!

الإعلام الإيراني تجاهل تصريحات رئيسه، ولم يبرزها إلا موقع (فردا نيوز) القريب من رئيس بلدية طهران، نقلاً عن صحيفة (جارديان) وهو يكاد يقطر عرقاً من الخزي والكسوف والخجل، تحت عنوان: (ادعاءات صحيفة جارديان حول حذف تصريحات أحمدي نجاد).

بعد ذلك بأيام قليلة، أبدت كبرى الصحف البريطانية (جارديان) استغرابها من تجاهل وسائل الإعلام الغربية، لتصريحات الرئيس الإيراني..

obeikandi.com

وتساءل (بيتر تاتشل) في عمود (الرأي الحر): (لماذا لم تتاور وسائل الإعلام العالمية على تصريحات الرئيس الإيراني بخصوص اعتراف بلاده بإسرائيل؟) وتساءل مجدداً عن (أسباب هذا التجاهل الإعلامي من المنظور السياسي والصحفي)، واصفاً تصريحات الرئيس الإيراني بالخروج الجذري على مواقفه الصلبة تجاه إسرائيل السابقة، مضيفاً: (منذ أسبوع واحد فقط كان يقول في طهران: إن دولة إسرائيل لن تعيش)[٨]!

وقد كشف الكاتب الأمريكي (تريتا بارسي) حقائق مثيرة حول العلاقات والاتصالات السرية بين إسرائيل وإيران وأمريكا التي تتم خلف الكواليس، وشرح الآليات وطرق الاتصال والتواصل بين الأطراف الثلاثة، التي تبدو ملتهبة على السطح ودافئة خلف الستار في سبيل تحقيق المصلحة المشتركة التي لا تعكسها الشعارات والخطابات والتصريحات النارية بينهم.

وقال (تريتا بارسي) أستاذ العلاقات الدولية في جامعة (جون هوبكينز) في مقدمة كتابه (التحالف الغادر: التعاملات السرّية بين إسرائيل وإيران والولايات المتّحدة الأمريكية): إن إيران وإسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي، كما يتخيل الكثيرون بقدر ما هو نزاع إستراتيجي قابل للحل، مدللاً على ذلك بعدم لجوء أحد الطرفين إلى استخدام أو تطبيق ما يعلنه خلال تصريحاته النارية، فالخطابات في وادٍ والتصرفات في وادٍ آخر معاكس.

وكان أهم ما تضمنه الكتاب هو كشفه عن الاجتماعات السرية الكثيرة التي عقدت بين إيران وإسرائيل في عواصم أوروبية، اقترح فيها الإيرانيون تحقيق المصالح المشتركة للبلدين من خلال سلة متكاملة تشكل صفقة كبيرة.

ويقول الكاتب: إنّ المسؤولين الإيرانيين وجدوا أنّ الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم مساعدة أكبر وأهم لها في غزو العراق عام ٢٠٠٣م عبر الاستجابة لما تحتاج إليه، مقابل ما ستطلبه إيران منها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة تعود العلاقات الطبيعية بموجبها بين البلدين، وتنتهي مخاوف الطرفين.

وبينما كان الأمريكيون يغزون العراق في إبريل من عام ٢٠٠٣م، كانت إيران تعمل على إعداد اقتراح جريء ومتكامل يتضمن جميع الموضوعات المهمة ليكون أساساً لعقد (صفقة كبيرة) مع الأمريكيين عند التفاوض عليه في حل النزاع الأمريكي – الإيراني.

وشمل العرض الإيراني الذي أرسل إلى واشنطن عبر وثيقة سريّة، مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية التي ستقوم بها إيران في حال تمّت الموافقة على (الصفقة الكبرى) التي تتناول عدداً من الموضوعات، منها: برنامجها النووي، وسياستها تجاه إسرائيل، ومحاربة تنظيم القاعدة.

ووافقت إيران على إيقاف دعمها لفصائل المقاومة الفلسطينية والضغط عليها لإيقاف عملياتها الفدائية ضدّ قوات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وكان من أهم فقرات الوثيقة السرية هو التزام إيران بتحويل (حزب الله) اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني. وكذلك قبولها بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام ٢٠٠٢م، التي تنص على إقامة دولتين والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل مقابل انسحابها إلى ما بعد حدود ١٩٦٧م.

obeikandl.com

المفاجأة الكبرى في هذا العرض كانت تتمثل في استعداد إيران تقديم اعترافها بإسرائيل بوصفها دولة شرعية، الذي سبّب إحراجاً كبيراً لصقور البيت الأبيض بزعامة نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني، الذين كانوا يناورون على مسألة (تدمير إيران لإسرائيل) و(محوها عن الخريطة).

وقال (بارسي) في كتابه: إنّ صقور الإدارة الأمريكية المتمثلة في ديك تشيني ووزير الدفاع الأمريكي السابق دونالد رامسفيلد كانا وراء تعطيل هذا الاقتراح ورفضه.

ويشير الكتاب أيضاً إلى أنّ إيران حاولت مرّات عدة بعد رفض هذا العرض، التقرب من الولايات المتّحدة، لكن إسرائيل كانت تعطّل هذه المساعي دوماً خوفاً من أن تكون هذه العلاقة على حسابها في المنطقة.

وخلاصة ما توصل اليه بارسي: إنّ إيران ليست خصماً للولايات المتّحدة وإسرائيل كما كان الحال بالنسبة إلى العراق بقيادة صدّام حسين وأفغانستان بقيادة حركة (طالبان).

فطهران تعمد إلى استخدام التصريحات الاستفزازية، ولكنها لا تتصرف بناءاً عليها بأسلوب متهور وأرعن من شأنه أن يزعزع نظامها. وعليه، فيمكن توقع تحركات إيران، وهي ضمن هذا المنظور (لا تشكّل خطراً لا يمكن احتواؤه) عبر الطرق التقليدية الدبلوماسية.

ويؤكد الكاتب: إننا إذا ما تجاوزنا القشور السطحية التي تظهر من خلال المهاترات والتراشقات الإعلامية والدعائية بين إيران وإسرائيل، فإننا سنرى تشابهاً مثيراً بين الدولتين في كثير من المحاور، بحيث إننا سنجد أنّ ما يجمعهما أكبر بكثير مما يفرقهما.

ويضيف: إن الدولتين تميلان إلى تقديم نفسيهما على أنّهما متفوقتان على جيرانهما العرب، حيث ينظر كثير من الإيرانيين إلى أنّ جيرانهم العرب في الغرب والجنوب على أنهم أقل منهم شأنًا من الناحية الثقافية والتاريخية وفي مستوى دوني. ويرون أن الوجود الفارسي على تخومهم ساعد على تحضّرهم وتمدّنهم ولولاه لما كان لهم شأن يذكر.

في المقابل، يرى الإسرائيليون أنّهم متفوقون على العرب بدليل أنّهم انتصروا عليهم في حروب كثيرة، ويقول أحد المسؤولين الإسرائيليين في هذا المجال لبارسي: «إننا نعرف ما باستطاعة العرب فعله، وهو ليس بالشيء الكبير»، في إشارة إلى استهزائه بقدرتهم على فعل شيء حيال الأمور[٩].

والتعاون الإيراني الإسرائيلي يتم في الخفاء وبسلاسة تامة، فقد أكدت تقارير صحافية إسرائيلية أن وزارة المواصلات الإيرانية طلبت شحنة مؤلفة من ١٥ ألف جهاز إنذار، من صناعة إسرائيلية، لحماية السيارات الحكومية من السرقة.

وبحسب صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية، فإن إيران طلبت شراء هذه الأجهزة من شركة صينية تسوق منتجات شركة (سونار) التي يقع مقرها في مدينة (رمات هشارون) الواقعة شمال تل أبيب وسط إسرائيل.

وطبقاً للتقرير الذي نشرته صحيفة (البيان) الإماراتية الثلاثاء ١١-٤-٢٠٠٦م فإن الصفقة تمت بين الحكومة الإيرانية والشركة الصينية بعد زيارة مندوب عن وزارة المواصلات الإيرانية في معرض لأجهزة الإنذار في الصين، وأعجب بالمنتج الإسرائيلي.

obeikandi.com

وحمل المندوب الإيراني ٢٠ جهاز إنذار لدى عودته إلى بلاده، وبعد مرور أسبوعين طلبت الحكومة الإيرانية من الشركة الصينية تزويدها بـ ١٥ ألف جهاز.

وقال مدير عام شركة (سونار) يعقوب سلمان: (لم أصدق) عندما أبلغه المروج الصيني بأن الإيرانيين يريدون شراء أجهزة إنذار من صنع إسرائيل.

وأكد أن الصفقة تمت من دون أن تكون هناك اتصالات مباشرة بين مسؤولين إيرانيين والشركة الإسرائيلية، وإنما مع ممثل الشركة الإسرائيلية في الصين.

وذكرت وكالة أنباء نوفوستي الروسية يوم الأربعاء ٢٠٠٦/١٢/٦م نقلاً عن صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية أن هناك مفاوضات مستمرة منذ ٢٠ عاماً بين إيران وإسرائيل حول الديون المليونية التي كان قد منحها الشاه لإسرائيل.

وطبقاً لما جاء في الخبر، فإن القضية التي تشمل مئات الملايين من الدولارات تعكف المحكمة الأوروبية العليا على متابعتها سرّاً، ويتم تقسيم القضية إلى ثلاثة ملفات، حيث تم الانتهاء من الملف الأول الذي قبلت عدد من شركات الوقود الإسرائيلية بالتزاماتها.

وصرح وزير الخارجية الصهيوني في حكومة نتنياهو (ديفيد ليفي) لصحيفة (هآرتس) يوم ١٩٩٧/٦/١م، أن: (إسرائيل لم تقل في يوم من الأيام: إن إيران هي العدو).

يقول الصحفي الإسرائيلي (وري شمحوني)، في صحيفة (معاريف) يوم ٢٣ /١٩٩٧/٩م: (إيران دولة إقليمية، ولنا الكثير من المصالح الإستراتيجية

obeikandi.com

معها، فإيران تؤثر في مجريات الأحداث، وبالتأكيد على ما سيجري في المستقبل، إن التهديد الجاثم على إيران لا يأتيها من ناحيتنا، بل من الدول العربية المجاورة، فإسرائيل لم تكن أبداً، ولن تكون عدواً لإيران).

إن مسلسل التعاون الإسرائيلي الإيراني لم يقتصر على السلاح، بل تعددت مجالات هذا التعاون، فشملت السلاح والتجارة والنفط وغيرها، وهنا يجب ملاحظة أن التعاون في مجال التسليح ينفي أسطورة العداء الكلي، فليس من المعقول أنك تسلح عدوك!(١٠).

لقد كانت إسرائيل المصدر الأول للسلاح لإيران في المدة من ١٩٨٠م- ١٩٨٥م، عبر صفقات كثيرة ومتعددة اشتركت فيها أطراف عدة وتمت عبر دول عدة، لكن كان المصدر والطرف الأساسي فيها والمحرك لخيوطها هو إسرائيل(١١).

وجاءت الأخبار في ديسمبر من عام ٢٠٠٢م أن رجل أعمال إيرانيًّا يدير شركة يمتلكها مقرّب من الرئيس خاتمي قام بزيارة سرية إلى إسرائيل في محاولة لفحص إمكانية تجديد عمل أنبوب النفط إيلات- أشكلون الذي تعود ملكيته إلى الحكومتين الإيرانية والإسرائيلية.

وخلال الزيارة غير الرسمية، التقى رجل الأعمال الإيراني مع مموّل إسرائيلي، في فندق (إنتركونتننتال) في مدينة تل أبيب. ونسق اللقاء (يهوشواع مئيري) أحد رؤساء جمعية تعنى بإقامة علاقات إسرائيلية - عربية أيضاً. وكان من بين الشخصيات التي حضرت اللقاء إلى جانب (يهوشواع مئيري)، الدكتور (شبارزاند) الذي شغل قبل سنة ونصف منصب مستشار الرئيس الإيراني الخاص للشؤون الإسرائيلية.

obeikandl.com

وطرحت خلال اللقاء إمكانية التعاون مع الشركة التي يديرها المندوب الإيراني. واتفقت الأطراف على أن تقوم الشركة الإيرانية بتحميل النفط على ناقلات النفط ونقله إلى ميناء مدينة إيلات الواقعة في جنوب إسرائيل، ومن ثم سينقل عبر الأنبوب إلى مدينة أشكلون، حيث سيسوق من هناك إلى الدول الأوروبية.

الهدف المباشر لهذا المشروع المطروح كان اختصار الوقت وتخفيف التكلفة المالية، ذلك أنّ ناقلات النفط الإيرانية تقوم بالمرور عبر قناة السويس في طريقها إلى أوروبا، وهي تستغرق أسابيع قبل الوصول إلى وجهتها النهائية، إضافة إلى العمولات التي يجب أن يتم دفعها خلال مرور القناة، وهو الأمر الذي سيتم تلافيه في حال إعادة إحياء الخط الذي سيختصر الوقت إلى أسبوع واحد فقط مع انخفاض في تكاليف النقل.

وسلّطت وسائل الإعلام في يناير من عام ٢٠٠٧م الضوء من جديد على مشروع إسرائيلي لنقل الغاز الطبيعي من إيران إلى إسرائيل عبر تركيا. وكشفت أوساط سياسية النقاب عن أنّ المشروع إستراتيجي الطموح الذي هو عبارة عن أنبوب تحت بحري بطول ٦١٠ كيلومترات بين الشاطئ الجنوبي-الشرقي لتركيا وحيفا هو ثمرة أفكار مشتركة لوزير البنى التحتية آنذاك (بنيامين بن اليعازر)[١٢].

وامتد التعاون في مجالات أخرى غير السلاح والنفط، فقد قالت صحيفة (يديعوت أحرونوت): إن ثلاثة مهندسين إسرائيليين شاركوا في ترميم بنى تحتية قريبة من المنشأة النووية في مدينة بوشهر الإيرانية تضررت من هزات أرضية في السنوات الأخيرة، بعدما عملوا طوال ٢٠ يوماً.

obeikandl.com

ونقلت الصحيفة عن أحد المهندسين قوله: (لقد أدهشنا حجم الفجوة بين المواجهة العلنية الإسرائيلية الإيرانية وعمق التعاون التجاري بين الدولتين الذي يصل حجمه إلى عشرات ملايين الدولارات في كل سنة، وقد تم استقبالنا بدفء، ولم نشعر بعدائية لحظة واحدة من قبل مرافقينا).

ووفقاً للصحيفة، فإن نائب مدير عام وزارة الزراعة الإيرانية من منطقة بوشهر زار إسرائيل سرّاً قبل ثلاث سنوات ونصف السنة؛ لفحص إمكانية تجديد مخزون العتاد الزراعي من إسرائيل. ومضى رئيس وفد المهندسين قائلاً: (إن هناك ازدهاراً في العلاقات التجارية مع إيران خلال السنوات الأخيرة، وخصوصاً في المجال الزراعي). ويشتري الإيرانيون من إسرائيل بصورة غير مباشرة قطع غيار للمعدات الزراعية، خصوصاً في مجال زراعة القطن والبذور لزراعة الخضراوات وأجهزة ري.

وروى المهندس أنه مع زملائه التقوا مع عائلات يهودية إيرانية، وتناولوا معهم وجبات طعام احتفالية تخللها شرب النبيذ بمناسبة عيد الفصح العبري.

وبحسب المهندس الإسرائيلي، فإن هناك ٢٦ ألف يهودي في إيران يعيشون حياتهم، ويمارسون عباداتهم دون عائق، حتى إن السلطات الإيرانية تحرس الكنس.

وأضاف المهندس رئيس الوفد: (من المتوقع أن أسافر مجدداً إلى إيران خلال الأشهر القريبة القادمة لتنفيذ أعمال تم استدعاؤها في أثناء وجودنا في إيران، وتتعلق بتطهير المياه الآسنة).

obeikandl.com

الهوامش:

(١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) (إيران جيت). جريمة تهريب سلاح بـ (توقيع الرئيس)!، صحيفة الرياض السعودية، ١٥ يونيه ٢٠٠٥م.

(٣) (إيران جيت) القصة الكاملة، المنتدى العربي للدفاع والتسليح.

(٤) محمد الحسناوي، المخطط الإيراني للنفوذ والهيمنة، موقع إخوان سوريا، دون تاريخ. العرب اليوم، ٢٠٠٦/٧/١٣م.

(٥) صباح الموسوي، التمدد الإيراني في الوطن العربي وأخطاره المحدقة بنا، موقع إيلاف، ١٣ أغسطس ٢٠٠٩م.

(٦) علاقة حميمة بين إيران وإسرائيل، موقع العربية نت، ١١ يناير ٢٠١١م.

(٧) المرجع السابق.

(٨) محمود سلطان، إيران وإسرائيل، موقع المصريون، ٢٠٠٨/١٠/٨م.

(٩) كاتب أمريكي يكشف عن العلاقة السرية بين إيران وإسرائيل وأمريكا في سقوط بغداد، موقع محيط ووكالات الأنباء، ٧ - ٥ - ٢٠٠٨م.

(١٠) أسامة شحادة، التعاون الإسرائيلي الإيراني، الراصد نت، دون تاريخ.

(١١) حسين علي هاشمي، الحرب المشتركة إيران وإسرائيل، ص ٣٥.

(١٢) أسامة شحادة، التعاون الإسرائيلي الإيراني، الراصد نت، دون تاريخ.

(١٣) المرجع السابق.

obeikandl.com

الفصل الرابع والعشرون

الصراع مع أمريكا.. المسرح العبثي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع والعشرون

الصراع مع أمريكا .. المسرح العبثي

بعدما رأى العالم أجمع التعاون الكبير والتنسيق الكامل بين الاحتلال الأمريكي وإيران في العراق، لابد من طرح السؤالين الآتيين لفهم ما جرى وما يجري:

هل بقيت ثمة أسرار حول طبيعة الصلة الأمريكية - الإيرانية؟

إن الانتخابات المزورة التي اشترك فيها الطرفان في العراق أكدت بلا أدنى شك أن هناك صفقة أمريكية – إيرانية طبخت، وكانت الانتخابات قمة هذه الطبخة، فما هي هذه الصفقة؟

المتابع الدقيق لتطور العلاقات الأمريكية الإيرانية في المنطقة يستطيع أن يلمس أن هناك اتفاقاً إقليمياً شاملاً بين أمريكا وإيران تم قبل غزو أفغانستان والعراق، وتعزز بعدهما، ويتمثل في النقاط الآتية:

(أ) التعاون المتبادل بين أمريكا وإيران حول تنفيذ غزو أفغانستان والعراق وإنجاحه.

obeikandl.com

(ب) مشاركة إيران في الترتيبات السياسية والأمنية في البلدين.

(ج) استمرار التعاون المتبادل على الرغم من وجود خلافات ساخنة إعلاميًّا فقط وباردة جدًّا عسكريًّا، تتركز حول تقاسم المنطقة، وليس نتيجة نهج تحرري إيراني كما يدعي البعض.

(د) نشوب حرب بالوكالة بين الطرفين الأمريكي والإيراني نتيجة الخلافات حول تقاسم وتقسيمها الأقطار العربية.

والسؤال الذي تنتجه الحقائق السالفة هو: لم حصل هذا التوافق الإستراتيجي الأمريكي – الإيراني مع أن إيران تهاجم (إعلاميًّا فقط) أمريكا والكيان الصهيوني؟ وهذا السؤال من الضروري طرحه لمواجهة التضليل الإعلامي الأمريكي – الصهيوني – الإيراني (المشترك)، والتذكير به لإنقاذ من يوشك على السقوط في فخه[1].

وللحصول على جواب موضوعي متطابق مع واقع الحال، لا بد من التذكير بحقائق إستراتيجية وجيوبولتيكية حاكمة، أهمها:

(أ) المشروع القومي الإيراني، وبحدوده القصوى لا يشكل نقضاً للمشروع الاستعماري الأمريكي الذي يتركز على استعمار الوطن العربي، وليس على إيران، وهو يقوم، أي المشروع الإيراني، على إعادة بناء إمبراطورية فارس مع وجود مطامع في أقطار عربية معروفة، وأمريكا تعرف أن الطبيعة البراجماتية للنخب الحاكمة في إيران تجعلها واقعية في التعامل معها، على طريقة تعاونها في غزو العراق وأفغانستان، لذلك فإن المطامع الإيرانية في أقطار عربية التي تشكل أحد أهم مصادر

obeikandi.com

الصراع بينهما، هي مع المشروع النووي الإيراني وسائل مساومة على أمريكا وضغط عليها من أجل الحصول على مكاسب أقل من السيطرة على أقطار عربية وأكثر من مجرد نفوذ فيها، وهي مطالب إيرانية تعدها نخب في واشنطن ولندن وتل أبيب معقولة في إطار تقاسم متفق عليه للمنطقة تحصل أمريكا بموجبه على حصة الأسد من أجل التخلص من المضايقات الإيرانية من جهة، وضمان خدمة إيران للمخططات الأمريكية - الصهيونية العامة من جهة أخرى.

(ب) تكتمل بيئة اللقاء التوافقي الأمريكي - الإيراني بوجود حقيقة أخرى، وهي أن المشروع القومي الإيراني لا يتناقض أيضاً مع المشروع الصهيوني، فالمشروع الصهيوني قام على الأرض العربية، وليس على أراضٍ إيرانية، وحدود إسرائيل التوراتية تنتهي عند الضفة الغربية لنهر الفرات، بحسب الهدف المبدئي والإستراتيجي الصهيوني المعروف (أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل)، وهذه الحقيقة محسوبة جيوبولتيكيًّا من قبل الطرفين الصهيوني والقومي الفارسي، في زمن الشاه وفي زمن خلفه الخميني. وفي إطار هذا التوافق الإستراتيجي والمبدئي، توضع حدود فولاذية تمنع نشوب صراع إستراتيجي بين الطرفين، حتى لو نشأت خلافات بينهما لأنها ستبقى ثانوية مقارنة بطبيعة صراع الطرفين مع العرب.

(ج) محور الصراع بين الأطراف الثلاثة المتلاقية (أمريكا وإيران وإسرائيل) هو حجم ونوعية مكاسب كل طرف، ولذلك فإن حقيقة وجود اسم إيران ضمن المشروع الأمريكي - الصهيوني للشرق الأوسط الجديد، إضافة إلى تركيا والكيان الصهيوني، هو تعبير واقعي وطبيعي

obeikandi.com

أيضاً عن وجود قاسم مشترك بين هذه الأطراف الثلاثة، وهو تقسيم وتقاسم الأقطار العربية.

هذه الملاحظات والحقائق فرضتها عمليات غزو أفغانستان والعراق، التي اتحدت فيها إيران وأمريكا لإنجاح هذا الغزو، واندلاع وتدفق المطامع الإيرانية في الأقطار العربية ونشرها للفتن الطائفية فيها، وهي اتجاهات تخدم أمريكا والكيان الصهيوني تلقائيًّا، والمبالغة المتعمدة الأمريكية - الصهيونية، والإيرانية أيضاً، بخطورة المشروع النووي الإيراني، مع أنه أداة مساومة مع أمريكا والكيان الصهيوني، كل ذلك وغيره دفع بأحد أشهر العلماء والخبراء الإسرائيليين لتأكيد أن الدور الإيراني ليس كما يطرح إعلاميًّا، بل هو عنصر شغب ومشاكسة لا غير.

فالدكتور (أفنير كوهين)، أحد أهم الخبراء الإسرائيليين في المجال النووي ومؤلف كتاب (إسرائيل والقنبلة النووية)، يرى أن البرنامج النووي الإيراني لا يشكل تهديداً وجوديًّا، لأسباب تتعلق بحرص إسرائيلي تقليدي على استغلال أي ظاهرة، ولو كانت ثانوية لحشد الرأي العام خلف الكيان الصهيوني وزيادة دعمه، وحصول إيران على سلاح نووي، هو مجرد مشكلة سياسية عالمية.

التصريحات الأمريكية لإيران تقول لها بوضوح وصراحة: افعلي ما شئت، فنحن لن نفعل لك شيئاً سوى فرض عقوبات عليك، مواصلين ما فعلناه في العقود الماضية، وهي عقوبات لم تمنع تعاوننا في غزو أفغانستان والعراق، ولم تشل الحياة في إيران.

obeikandl.com

لنتذكر أيضاً أن المشروع النووي الإيراني دعم من قبل المخابرات الأمريكية التي اعترفت رسميًّا بأنها قدمت معلومات نووية خطيرة لإيران ساعدتها على تحقيق تقدم كبير في مشروعها النووي، وبررت هذا الدعم بأنه نتيجة خطأ استخباراتي! هل هذا معقول؟ هل يعقل أن المخابرات الأمريكية تقدم معلومات نووية خطيرة إلى العدو المفترض نتيجة خطأ، وهي التي عرف عنها تدقيقها المعلومات مرات عدة ووفقاً لآليات لا تقبل الخطأ في أمر كهذا؟!

إن ما يفسر التناقضات الظاهرية في الموقف الأمريكي من إيران هو أمر جوهري أثبتته مواقف أمريكا المساندة لإيران في أثناء الحرب مع العراق، وأبرز أدلته الحاسمة (إيران – جيت)، واحتلال العراق وأفغانستان بتعاون أمريكي – إيراني، فأمريكا لها مصلحة مباشرة في إيران القوية وفي بقائها في العراق وممارسة نفوذ قوي فيه؛ لأن العراق القوي الموحد هو مدخل طبيعي لنهوض حركة التحرر الوطني العربية وإحباط المخططات المشتركة الأمريكية – الإيرانية – الصهيونية الملتقية حول هدف مركزي وإستراتيجي خطير هو تمزيق الأقطار العربية، في إطار (سايكس بيكو) جديدة.

والسبب مزدوج العناصر، فإيران (النخب الحاكمة) من جهة أولى لديها الدافع، وهو أنها خاضعة لنزعة عداء عنصري تقليدي ضد العرب ولديها مطامع في أرضهم، لذلك فإنها تملك الدافع الذاتي الذي يجعلها جاهزة لخوض صراعات مع العرب لاستنزافهم وتمزيقهم، ومن جهة ثانية فإن إيران تملك أداة التأثير المطلوب لتقسيم الأقطار العربية، وهي أداة لا تملكها أمريكا ولا الكيان الصهيوني، وهي الفتن الطائفية، وفي إطار هاتين الحقيقتين يبدو واضحاً أن إيران ذخيرة إستراتيجية لأمريكا والكيان

الصهيوني؛ لأنها وحدها من نجح في نشر الفتن الطائفية في الأقطار العربية مع أن كلاًّ من بريطانيا وفرنسا وأمريكا والكيان الصهيوني فشل في تحقيق هذا الهدف خلال نحو قرن من الزمن الاستعماري الغربي[٢].

لقد نقلت الصحف العالمية وشبكات الأخبار يوم ٢٠٠٩/٩/١٧م، عن الرئيس الأمريكي باراك أوباما، قرار إلغاء نشر منظومة الدرع الصاروخي في أوروبا، وعقد في اليوم نفسه وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس مؤتمرًا صحفيًّا مشتركًا مع الجنرال جيمس كارترايت، نائب رئيس أركان الجيش الأمريكي أعلنا فيه إلغاء نشر الدرع في بولونيا وتشيكيا، وأن تحل محله بتكنولوجيا اعتراضية أرضية - بحرية، تتمتع بمرونة عالية في الاستجابة للتهديدات، وتخفض النفقات الحربية بشكل كبير كما قالا.

واللافت للنظر هو ما قاله جيتس عن الخطر الإيراني المزعوم الذي حوّله إلى مصدر رعب وقلق في أوروبا والعالم، حيث قال: إن الصواريخ الإيرانية البعيدة المدى لا تشكل تهديداً فوريًّا كما اعتقدنا سابقاً! لذلك استبدلنا بتلك السياسة السياسة الجديدة التي أقرها الكونجرس والبنتاجون.

إعلان هذا التغيير الأمريكي قد يبدو عاديًّا، وهو كذلك بالنسبة إلى من يعرفون خفايا العلاقات الأمريكية الإيرانية، لكنه مفاجئ وكبير بالنسبة إلى من جهلوا، أو تجاهلوا، الطبيعة الحقيقية للعلاقات الأمريكية الإيرانية، وافترضوا وجود صراع حقيقي بينهما خلال أربعة؛ عقود من الزمن، لأن هذا التغيير الأمريكي، وهو تغيير إستراتيجي كبير، يؤكد ويدعم أن الصراع الأمريكي الإيراني ما هو إلا صراع ديوك، الاصطناع فيه طاغٍ ومحرك له، لدرجة أن أحد الطرفين حينما ينقر الطرف الآخر، فإن الطرفين يعلمان أنه

obeikandi.com

نقر تمثيل غير مؤلم ومحسوب الهدف الرئيس منه، تمامًا كما هي تكتيكات المصارعة الحرة الأمريكية، وهكذا تضمن أمريكا وإيران وجود أطراف تدعم كل منهما بصدق؛ لأنها صارت ضحية تضليل حول تحديد طبيعة الصراع الحقيقية: هل هو صراع ديوك مرتب يحركه تنافس حول المغانم؟ أم أنه صراع عدائي حقيقي ورئيس؟

ومن المؤشرات ذات الدلالة ترحيب روسيا فوراً بالخطوة الأمريكية، إذ إن موسكو في السابق ضغطت على واشنطن طويلاً، وهددتها بنشر منظومة صواريخ روسية مضادة إذا نشرت منظومة الصواريخ في أوروبا، من أجل إلغاء نشر الدرع في بولندا وتشيكيا، وثار خلاف وحصل توتر بين العاصمتين بسبب ذلك المشروع الإستراتيجي، وترحيب موسكو يقوم على إدراك رسمي ومعلن في الكرملين بأن الدرع الصاروخي موجه الأساس والواقع لروسيا وليس لإيران، وهو جزء من إستراتيجية أمريكا بالتوسع شرقاً التي تبنتها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فروسيا تبقى كابوساً مفزعاً لأمريكا؛ لأنها قوة نووية عظمى تستطيع حرق أمريكا مئة مرة بسلاحها النووي. أما إيران فإن صواريخها بدائية وبسيطة مقارنة بالروسية، ومداها مازال محدوداً، وهي صيد سهل للصواريخ الأمريكية المضادة للصواريخ، لذلك فإن خطر هذه الصواريخ على أمريكا منعدم، والخطر الأساسي الذي تشكله هذه الصواريخ هو على الأقطار العربية، وتأكيداً لذلك هددت إيران رسميًّا بقصف منشآت النفط العربية[٣].

وإن علينا تذكر أن الصواريخ الإيرانية الأولى استخدمت في ضرب مدن العراق بكثافة في الثمانينيات، وذهب ضحيتها آلاف العراقيين، وليس

لقصف الكيان الصهيوني أو القواعد الأمريكية، وأخيراً فلا بد من التنبه إلى أن الصواريخ الإيرانية خطر على إيران ذاتها، لأنها إذا استخدمتها ضد أوروبا أو أمريكا، على افتراض أنها قادرة على الوصول إليهما، فإن الرد عليها سيكون ساحقاً وماحقاً ومدمراً وكارثيًّا، وهو ما تعرفه إيران.

هل كانت أمريكا، بكل أجهزة مخابراتها المتطورة وعلمها وتكنولوجيتها، تجهل أن صواريخ إيران لم تتقدم بما يكفي لتشكل خطراً عليها؟ الجواب هو كلا، فأمريكا لديها القدرة على تحديد الإطار العام للمستوى الذي بلغته إيران تكنولوجيًّا وعسكريًّا، لكنها أرادت أن توحي بأنها لا تعرف وتجهل ما يجري في إيران، وذلك جزء من لعبة استغلال (البعبع الإيراني) لتمرير مشروعات أمريكية في العالم، مثل الدرع الصاروخي الموجه ضد روسيا في الأساس، أو في منطقتنا، مثل نشر الفتن الطائفية لتقسيم الأقطار العربية والقضاء على وحدتها عن طريق الأدوات الإيرانية.

أما إذا كان الجواب: نعم، أمريكا تجهل ما يجري في إيران، فنحن أمام سؤال محرج لأمريكا، وهو: كيف عرفتم الآن أن صواريخ إيران لا تشكل خطراً؟ وأين تذهب المبالغ الأسطورية المخصصة لوكالة المخابرات الأمريكية التي أعلن أنها أكثر من سبعين مليار دولار سنويًّا؟

إن حجم التضليل الأمريكي والصهيوني كبير وخطير؛ لأنه استهدف عمداً وتخطيطاً تقديم إيران بصفتها القوة المناهضة لأمريكا والكيان الصهيوني والتي تهددهما، ومن ثم يجب تركيز الجهد عليها، وهو أمر يخدم إيران عربيًّا بتصويرها كأنها تحارب أمريكا والكيان الصهيوني، فيما الأنظمة العربية تتواطأ مع إسرائيل وأمريكا ضد المصالح العربية، وبذلك يتحقق

لأمريكا والكيان الصهيوني هدف خطير، وهو وجود عرب يدعمون إيران حتى وهي تحتل العراق، مع أمريكا، وتحتل الأحواز والجزر الإماراتية، وتنشر الفتن الطائفية لمجرد أنها تدعم القضية الفلسطينية، وتناهض أمريكا والكيان الصهيوني، وذلك يزيد من تمزق العرب وتشرذمهم واضطراب رؤيتهم للعدو وتحديده بدقة.

ونتيجة هذا التكتيك الأمريكي - الصهيوني بارزة أمامنا، فهناك عرب يجادلون بأن إيران تخوض صراعًا مع أمريكا والكيان الصهيوني، وأن الصراع الرئيس في المنطقة هو بين أمريكا وإسرائيل من جهة وبين إيران من جهة أخرى، ويترتب على هذه الكذبة جعل إيران في موقع من يجب دعمه من قبل العرب ضد أمريكا والكيان الصهيوني وتأجيل مناقشة أو إثارة المشكلات معها بسبب احتلال العراق والأحواز والجزر العربية، وغير ذلك لما بعد دحر أمريكا والكيان الصهيوني، وكذلك إنزال مرتبة المقاومة العراقية إلى مستوى الظاهرة الثانوية مع أنها هي وليس إيران من تقاتل أمريكا في المعركة الرئيسة، ووصم من يكشف الدور الإيراني بأنه يخدم أمريكا والكيان الصهيوني، على الرغم من أن إيران لم تطلق رصاصة واحدة على أمريكا والكيان الصهيوني.

في عهد الرئيس رونالد ريجان في مطلع الثمانينيات أعلن عن تبني مشروع إستراتيجي كبير وخطير، وهو منظومة حرب النجوم، أو مبادرة الدفاع الإستراتيجي، وقيل وقتها: إن الهدف من هذه المنظومة هو إنشاء شبكة دفاع صاروخي في الفضاء تستطيع اصطياد الصواريخ المتجهة للولايات المتحدة الأمريكية قبل الوصول إلى أراضيها وتدميرها في الجو. وقتها كان واضحاً

obeikandi.com

أن أمريكا تريد تدمير الاتحاد السوفيتي ليس بالوسائل العسكرية بل باستنزافه ماديًّا من خلال إجباره على دخول سباق تسلح جديد مكلف جدًا لموازنة الشبكة الصاروخية الأمريكية، ما اضطر موسكو وقتها إلى تحويل موارد مالية ضخمة من التنمية والخدمات العامة إلى تطوير صواريخ جديدة لمنع أمريكا من تحقيق تفوق كبير وإبقاء الاتحاد السوفيتي قادرًا على الردع الإستراتيجي، وهكذا وقعت موسكو في الفخ الأمريكي.

لكن العنصر الدعائي والطبيعة النظرية لبرنامج حرب النجوم كانا واضحين، وذلك للصعوبة القصوى لتطوير صواريخ قادرة على إسقاط صواريخ متطورة وبدقة متناهية، خصوصاً أن الاتحاد السوفيتي كانت لديه صواريخ نووية (عنقودية) أي صاروخ يطلق صواريخ أخرى عدة من داخله لتضليل وتعجيز القدرة الأمريكية على إصابة كل الصواريخ.

نتيجة التكلفة العالية وعدم الدقة في الإصابة تركت الإدارات الأمريكية المتعاقبة مشروع حرب النجوم دون أن تلغيه، وأبقته أداة ابتزاز للاتحاد السوفيتي. وفي عهد بوش الابن – تشيني، وبالنظر لوجود مخطط استعماري لتلك الإدارة التي بدأت بتنفيذه بعد أحداث ١١سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠١م، عادت تلك الإدارة لبرنامج حرب النجوم، واستخدمت له تسمية أخرى هي (الدرع الصاروخي) لتحقيق هدفين مترابطين: الأول زيادة إنعاش الصناعات العسكرية، وهي أحد أهم المؤثرات في صنع القرار الأمريكي وأحد أهم مصادر الدخل القومي الأمريكي، والثاني إكمال نفس سيناريو ريجان، وهو إيجاد مبرر للتدخل في العالم بحجة وجود تهديد خطير للأمن القومي الأمريكي.

obeikandl.com

في هذا الإطار كانت قصة الخطر الإيراني وخطر (القاعدة) هي مبرر العودة للعبة حرب النجوم، فقد استغلت إدارة بوش هجمات سبتمبر لغزو أفغانستان والعراق وتدميرهما، وبعد أن تم لها ذلك بدعم إيراني شامل وكامل، بدأت اللعبة الأخرى، وهي التلويح بالخطر الإيراني النووي والصاروخي من أجل مواصلة التوسع الإمبريالي الأمريكي في العالم، لذلك كان من مصلحة أمريكا تضخيم الخطر الإيراني سواء التوسعي في الأقطار العربية أو الحربي ممثلاً في المشروع النووي الإيراني وتابعه الصواريخ الإيرانية.

لقد استغلت الدعاية الأمريكية أفضل استغلال ما سمي (الخطر الإيراني) عليها لحشد الرأي العام الأمريكي خلفها ودعمها، مع أنها بكل أجهزتها الأمنية كانت تعرف أن إيران لا تشكل خطرًا عليها ولا على حليفتها أوروبا، ومن جهة أخرى عززت أمريكا تعاونها مع إيران في إطار خطة تمزيق وتفتيت الأقطار العربية بنشر الفتن الطائفية بواسطتها، وهو أحد أهم الأهداف الإستراتيجية الأمريكية - الصهيونية، ولهذا فإن الدور الطائفي الإيراني كان ومازال الخطر المميت بالنسبة إلى الأقطار العربية.

وهكذا ولدت معادلة سرطانية شيطانية: فمن جهة تستخدم أمريكا أطروحة الخطر الإيراني لضمان دعم الرأي العام الأمريكي والأوروبي لها مع أنه خطر وهمي، لكنها، من جهة ثانية هي الداعم الرئيس للتوسع الإيراني في نشر الفتن الطائفية مع أنه خطر حقيقي وقاتل بالنسبة إلى العرب والمسلمين كافة؛ لأن هذا الدور ينفذ ما يخدم أمريكا والكيان الصهيوني[٤].

لقد سئم كل من يتابع الملف النووي الإيراني ومعارضة واشنطن له، من تكرار الأسطوانات المشروخة من التعنت والرفض والدلع الإيراني، والصبر

الأمريكي المنقطع النظير الذي ضرب أروع الأمثلة، يذكرنا بصبر سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام، وكأننا نخال أحيانًا أن الهدف من كل الحرب الإعلامية الدائرة، إنما هو إقناع الناس أن إيران لا تزال على ولائها وعهدها الذي روجت له في معاداة الشيطان الأكبر، على الرغم من أن الأفعال تثبت أن الشيطان الأكبر ما هو إلا الحليف الأكبر، والخل الوفي، في زمن عزّ فيه الوفاء والخلة.

فوقوف إيران في كل خندق تتمترس فيه واشنطن، إشارة ينبغي تحليلها وفهمها، وتجلى ذلك في أفغانستان، إذ لم تعترف طهران بحكومة (طالبان)، في حين دعمت وساندت على الفور الحكومة الأفغانية التي جاءت مع الاحتلال الأمريكي.

أما الموقف الإيراني في العراق، فإنه كان واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار، ولا يحتاج إلى محاولة النظر والاجتهاد من أصغر طفل.

لقد أعلنت طهران وتعلن صباح مساء أن لديها العشرات من قادة وعناصر تنظيم القاعدة، ولم نسمع مرة واحدة أن أمريكا طالبتها بتسليم أحد منهم للتحقيق معهم، في حين تطالب باكستان بتسليمها حتى لو تم اعتقال دجاجة يعتقد أنها مصابة بإنفلونزا القاعدة وطالبان[٥].

نشرت الصحف البريطانية عام ٢٠٠٦م ، تقريراً استخباراتيًّا خطيراً، ترجمته ونشرته بعد ذلك مجلة البلاغ، عدد ١٧٠٨ ، في رجب ١٤٢٧هـ- أغسطس ٢٠٠٦م.

يوضح التقرير خفايا ما جرى، ويجري في منطقة الشرق الأوسط ، ويذكر أنه عقب حادثة هجوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، حصلت اتصالات بين

obeikandi.com

الجهات العليا في إيران والولايات المتحدة الأمريكية، حيث قام وفد إيراني حكومي بمقابلة الرئيس الأمريكي وتعزيته على الحادث، وقام الإيرانيون بطرح عرض تحالف وتبادل مصالح في منطقة الشرق الأوسط مع أمريكا، خاصة أن الشيعة مضطهدون ومهددون من قبل الإرهابيين السنة، وأن الشيعة لا يؤمنون بالجهاد أبدًا كما في عقيدتهم إلا بخروج المهدي، فمثلاً في أفغانستان تم دحر الشيعة إلى الشمال وتهميشهم، وهناك تهديد من قبل «طالبان» السنية الإرهابية لإيران خاصة أن (طالبان) والمجاهدين قد أصبحوا يمثلون دولة سنية إرهابية كبرى، وبالنسبة إلى العراق، فإن الشيعة أيضًا مضطهدون ومحاربون من قبل صدام حسين وحكومته السنية وما زال يمثل تهديداً لإيران، خاصة أن إيران تعتقد أن نظام صدام يؤدي عناصر تنظيم القاعدة، وكذلك الحال في لبنان، فإن الشيعة مهمشون، وليس لهم حقوق هناك وإلا ما طالبوا إسرائيل بمزارع شبعا التي لا تكاد تذكر، وكذلك الحال في دول أخرى.

وقد اشترطت إيران في ذلك التحالف شروطاً عدة على أمريكا، من ضمنها أن تمكنها أمريكا من الحكم في أفغانستان والعراق ولبنان وسورية والبحرين، وأيضاً اشترطوا ألا تتعرض أمريكا للمنظمات الشيعية حول العالم وعدم اتهامها بالإرهاب وعدم تجميد أرصدتها، ومن ضمن تلك المنظمات (حزب الله) في لبنان، وهذا فعلاً ما تحقق، حيث تم تجميد أرصدة جميع المنظمات الإسلامية السنية وشطبها من الوجود عبر التعاون الدولي مع الدول المستضيفة لتلك المنظمات، وبقيت فقط المنظمات الشيعية ومن ضمنها (حزب الله) على الرغم من قوته وتهديده المعلن دوماً للحليف الإستراتيجي لأمريكا (إسرائيل)، حتى إن (حزب الله) استطاع أن يفتتح قناة خاصة به

وبموافقة أمريكية وبوساطة إيرانية، وبعد هذا كله، فإن إيران نبهت أمريكا إلى نقطة مهمة جدًّا في قوة تأثيرها في هذا التحالف، وهي أن الشيعة في أي مكان وأي أرض لهم ولاء وطاعة عمياء للأئمة والمراجع الشيعية في إيران، وينفذون أوامرهم وتوصياتهم دون أي تردد من منطلق ديني عقدي شيعي، ويستفاد من ذلك أن أمريكا إذا قررت غزو أي أرض يوجد بها شيعة، فإن إيران ستسهل لأمريكا تلك المهمة عبر توجيهاتها لأتباعها المطيعين من الشيعة في أفغانستان أو العراق أو لبنان أو سورية أو البحرين أو السعودية.

وعند رغبة أمريكا في غزو أفغانستان، فإن التنسيق سيتم مع شيعة أفغانستان في الشمال، ولن يذعن الشيعة هناك لأمريكا إلا بتوجيه من مرجعياتهم في إيران، وهذا ما حصل، وقد تابع العالم تلك الأحداث بكل وضوح ورأى كيف تولى حزب الشمال الشيعي القتال نيابة عن الأمريكان، وقد قام الأمريكان بمدهم بالسلاح والمال وتغطيتهم بالضربات الجوية لصفوف الطالبان. وكذلك الحال في العراق، فإن الشيعة هناك ذوو تعداد كبير للغاية، ولن يذعنوا لأمريكا إلا بتوجيه من مرجعياتهم في إيران، وهذا ما حصل، وتسبب في انهيار سريع للجيش العراقي بسبب خيانات الشيعة للحكومة وتحالفهم مع الأمريكان في ضرب الجيش من الخلف ونشر الإشاعات والمعلومات المغلوطة في أوساط الجيش، وذلك سهل وعجل بالاحتلال الأمريكي، وقد أوفت أمريكا لإيران، ومكنت الشيعة من الإمساك بالحكم هناك كما فعلت في أفغانستان أيضاً، وقد اشترط الأمريكان أن يكون هناك إشراف أمريكي مباشر لضمان عدم الغدر، وهذا قائم أيضاً في أفغانستان والعراق حاليًّا.

وكشف الكاتب الأمريكي (تريتا بارسي) حقائق مثيرة حول العلاقات والاتصالات السرية بين إيران وأمريكا التي تتم خلف الكواليس، وشرح الآليات

obeikandi.com

وطرق الاتصال والتواصل بين الطرفين، التي تبدو ملتهبة على السطح ودافئة خلف الستار في سبيل تحقيق المصلحة المشتركة التي لا تعكسها الشعارات والخطابات والتصريحات النارية بينهم.

وقال (تريتا بارسي) أستاذ العلاقات الدولية في جامعة (جون هوبكينز) في كتابه (التحالف الغادر: التعاملات السريّة بين إسرائيل وإيران والولايات المتّحدة الأمريكية): إنّ المسؤولين الإيرانيين وجدوا أنّ الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم مساعدة أكبر وأهم لها في غزو العراق عام ٢٠٠٣م عبر الاستجابة لما تحتاج إليه، مقابل ما ستطلبه إيران منها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة تعود العلاقات الطبيعية بموجبها بين البلدين، وتنتهي مخاوف الطرفين. وقد أشرنا إلى ما جاء في هذا الكتاب في الفصل السابق.

يتساءل الكاتب الأمريكي جورج فرديمان: (هل تعرفون ما هو أهم حدث عالمي في بداية القرن الحادي والعشرين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ إنه التحالف الأمريكي الإيراني).

لا نعتقد أن الباحث الأمريكي قال هذا الكلام جزافاً أو لمجرد الإثارة الإعلامية. فالحقائق على الأرض صارخة جدًّا، وتدعم نظريته، على الرغم من كل التهويل الإعلامي حول إمكانية التصادم بين واشنطن وطهران.

وكي لا نبقى في إطار القيل والقال، فلننظر إلى الوقائع على الأرض. لقد غزت أمريكا العراق بتعاون وتنسيق لا يخفى على أحد مع الأحزاب العراقية المرتبطة بإيران عضويًّا، كالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق الذي

ولد وترعرع في طهران، وحزب الدعوة وحتى حزب الجلبي وغيره من الجماعات المرتبطة بإيران منذ ما قبل الحرب العراقية - الإيرانية.

قد يقول البعض: من حق الأكثرية الشيعية في العراق أن تستلم مقاليد الحكم في البلاد بعد تهميشها لأكثر منذ ثمانين عاماً، وقد يكون ذلك صحيحًا ومن حقها. وقد يقول آخر: لقد التقت المصالح بين شيعة العراق والأمريكيين. وهذا ممكن ولا غبار عليه. لكن لن لا يقول لنا أحد: إن إيران وأمريكا في حالة عداء مستحكم، وإن صواريخ «شهاب» ستدك الحاملات الأمريكية في عرض البحر.

لقد دخلت إيران من خلال الأحزاب العراقية المرتبطة بها أيديولوجيًّا وروحيًّا في تحالف صارخ مع الأمريكان. ومن مظاهر هذا التحالف أن الأحزاب الممسكة بالسلطة العراقية ترفض رفضاً قاطعاً السماح بإطلاق رصاصة واحدة على القوات الأمريكية، من منطلق أنها قوات حليفة وصديقة. ولو أن المحسوبين على إيران قاوموا الأمريكيين عند دخولهم العراق لتغيرت الموازين بين ليلة وضحاها، ولما استتب الأمر للقوات الأمريكية حتى هذا الوقت. وقد اعترف الإستراتيجي والسياسي الأمريكي الشهير هنري كسنجر في مقال له في صحيفة عربية (بأن الوجود العسكري الأمريكي في العراق لن يستمر أسبوعين فيما لو أطلقت المرجعيات المرتبطة بإيران فتاوى بمجرد التظاهر ضد الأمريكيين)، فما بالك بمقاتلتهم؟

وقد لاحظنا أن فتاوى المرجعيات الشيعية في إيران والعراق لا تصدر إلا لكبح جماح الشعب العراقي وعدم التصدي للمحتلين. وقد التزم حلفاء إيران حتى هذه اللحظة بمسالمة القوات الأمريكية، بل القتال إلى صفها. وكم

obeikandi.com

توقع بعض المخدوعين صدور فتاوى شيعية عراقية ضد الأمريكيين أيام العدوان الإسرائيلي على لبنان. لكن توقعاتهم خابت شر خيبة، لعدم رؤيتهم الواضحة لطبيعة المصالح بين إيران والأمريكيين في المنطقة. لقد قال الخميني ذات مرة: (إذا رضيت عنك أمريكا فاتهم نفسك)، لكن أمريكا لم ترضَ عن إيران فحسب، بل مكنتها من العراق! فهل يا ترى يستطيع الإيرانيون أن يوفوا فضل العم سام (ملك الروم) الذي أعاد مجدهم التليد دون أن يضربوا طلقة واحدة أو يضحوا بجندي واحد؟[٦].

opeikandl.com

الهوامش:

(١) صلاح المختار، الصلة الأمريكية–الإيرانية: زواج متعة أم زواج كاثوليكي؟ الوطن الدولية ١٢مارس٢٠١٠م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) صلاح المختار، وأخيراً أسدل الستار على أسطورة الصراع الأمريكي– الإيراني، شبكة البصرة، ٢٥/ ٩ / ٢٠٠٩م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) أحمد موفق زيدان، التواطؤ الأمريكي الإيراني في المنطقة، الشرق القطرية - ٢٠٠٦/٣/٢٩م.

(٦) فيصل القاسم، التحالف الإيراني - الأمريكي، موقع الحوار المتمدن، العدد ١٧٤٠، ٢٠٠٦/١١/٢٠م.

obeikandl.com